التراث في مسرحية "ديك الجن الحمصي" لفرحان بلبل

أ.صباح صوابرية
قسم اللغة و الأدب العربي
جامعة سوق أهراس

المخلص:
اختار الكتّاب -بصفة عامة- من الصفات و الجوانب التراثية ما رأوه مناسبا لطرح فكرة ما، و لم يقتصر تناولهم للشخصية على تراثيتها، بل اختاروا نقطة يرتكزون عليها، و لعل هذا ما فعله فرحان بلبل في مسرحية "ديك الجن الحمصي"، حيث جعل من موضوع "السلطة و المثقف" محور هذا العمل المسرحي، إذ اتخذ الكاتب من الشاعر العباسي "ديك الجن" رمزا للمثقف العربي في صراعه مع السلطة، و هنا يختلف فرحان بلبل عن بقية الكتّاب في عدم تتبعه لحياة شخصية معينة، و اهتمامه في سرد حياتها، فنجده يتأمل موقف الشخصية التاريخي من زواياه المختلفة في ضوء المنظومة المعرفية لعصرنا.

Résumé

Les écrivains ont choisi parmi les aspects patrimoniaux ce qu'ils ont jugé utile et convenenable a l'expression. C'est bien le cas de Farhan Bulbul dans sa pièce "Dick El-Gin el Himsi",s'appuyant sur le thème : pouvoir – intellectuel comme axe de travail théâtral. Ainsi ,les écrivains ont fait du poète abbasside "Dick El-Gin" un symbole de l'intellectuel arabe dans sa lutte avec le pouvoir politique. et ici Farhan Bulbul revient sur la position historique de cette personnalité et c'est dans ce sens que son œuvre se distingue.

تمهيد:

لم يكن لجوء المسرحيين العرب إلى التراث* مصادفة أو اعتباطا، بل كان له مسوغاته و أسبابه التي حفّزت المبدع إلى العودة إلى تراثه، و الحقيقة أن الأدباء وجدوا في التراث خير معبر عن أفكارهم، حينما ضاقت بهم السبل و تقطعت بهم الأسباب، و هم يحاولون التواصل مع شعب توالت عليه الويلات و تكالبت عليه قوى الشر؛ و من بين تلك الأسباب التي جعلتهم يلجؤون إلى التراث ما يأتي:

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1365

أ- العوامل السياسية و الاجتماعية: كان للظروف السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية القاسية التي مرّ بها الوطن العربي انعكاسا على المثقفين و الكتاب، حيث اضطر هؤلاء إلى اتخاذ طرائق غير مباشرة للتعبير عن الواقع متخذين من التراث و مضامينه أداة يقولون من خلالها ما لا يستطيعون التعبير عنه بصورة مباشرة، متسترين خلف شخصياته لبث رسائلهم و أفكارهم؛ **"فكانت الأسطورة و الخرافة و المعتقدات، فحملوها انتقاداتهم لمفاسد العصر و سلبياته، و هذه سلبيات متعددة الأوجه، سياسية و اجتماعية و ثقافية"**[1].

ب- العوامل النفسية:

أدت حالة القلق و الاغتراب التي يعيشها الإنسان العربي عموما و الأديب خصوصا إلى البحث عما يعبر عن فطرته و أمانيه، فعاد إلى التراث إلى يوم كانت الحياة كريمة و الأفكار أمينة، محاولا من خلاله فضح بعض القيم المعاصرة و التعبير عن التمزق و التشتت و التوتر النفسي الذي يعانيه، و لعله يجد فيه ما يحفزه للتحرر من ذلّ الهزيمة التاريخية، فكان **"التسلح بإرث حضاري عريق ضخم من شأنه أن يشكّل سندا معنويا لإرادة مهزومة مغلوبة، و أن يحجّم عقدة النقص التي خلفها في النفوس فعل التعاظم الأوروبي الحديث"**[2].

جـ- العوامل الفنية أو الجمالية: أدرك الكتّاب العرب مدى صلاحية الموضوعات التراثية لحمل معاناتهم و معاناة شعوبهم، فاتجهوا إلى التراث و وجدوا فيه أشكالا تجذب المتفرج و تحقق اندماجه في العمل المسرحي، فبمجرد أن يستحضر الكاتب شخصية تراثية أو موضوعا تراثيا فإنه يقوم بشدّ انتباه القارئ أو المتفرج لمتابعة العمل المسرحي، و ذلك لأنّ التراث**"يؤدي دور المنبه و المحرض للذاكرة، فيمزج الإنسان العربي ما يقرأ أو يشاهد، و بين ما يحمله من أفكار حول هذا الموضع أو ذاك من موضوعات التراث، فيستطيع استنباط الحكمة، و الحكم على الأمور بتعقل و بعد تام عن العاطفة، فيعرف حقيقة ما يعيشه من أمور من خلال تلك الحقائق التراثية التي يعانيها"**[3].

بالإضافة إلى ما ذكر من عوامل، فإن الكاتب قد يجد في التراث الأجنبي ما يلفت انتباهه و يخدم رؤاه، الأمر الذي قد يجعل الإعجاب بمظاهر هذا التراث ضربا من التقليد أو إظهار المقدرة، كأن يلجأ الكاتب إلى بعض الأساطير الأجنبية و يحاول تطويعها في نصوصه المسرحية من أجل كسب إعجاب الجماهير و أسرهم في جوّها، فيكتسب النص بذلك أبعادا تتخطى حاجز الزمن.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1365

و مهما تعددت العوامل فإن اللجوء إلى التراث يعدّ من الأمور المفيدة في إغناء المصادر التي يمتح منها الكتّاب من أجل معالجة القضايا الراهنة، و الانتقال بالجمهور و القرّاء من الحاضر إلى الماضي و المستقبل.

1/ مسرح فرحان بلبل و طريقة تعامله مع التراث:

إنه من البديهي أن يكون لكل مبدع رؤيته الخاصة و أسلوبه الذي ينم عن تفكيره و رؤيته، و الذي من خلاله يصنف الكاتب و تُحدد مكانته؛ فالكاتب من الذين تشربوا المادة التراثية و سقوا بها إبداعات تارة ساخرة حادة و تارة أخرى ملأى بالمرارة، معبرة عن نقد و رفض ما في الواقع من مفارقات فاجعة و مؤلمة، و جعلها في الوقت نفسه فاعلة في تحريض الأفكار و العقول و القلوب كإمكانية للخلاص و التقدم، و لعل فرحان بلبل قد يكون من أنجح الكتاب في توظيف هذا النتاج رغم قلته، ومن أقدرهم على التشخيص، و سنحاول أن نتتبع طريقته في تعامله مع التراث الإنساني على اختلاف ألوانه و منابعه.

كان اختيار فرحان بلبل لموضوعاته التراثية محكوما بمدى قدرة هذه الموضوعات على إفراز الدلالات و القيم الاجتماعية و السياسية و الإنسانية من جهة، و إبراز توجهه و رؤيته من جهة أخرى، فتعامل مع التراث على أنه قيمة لا وقائع و أشخاص كحصيلة تأثر و تأثير متبادل بينه و المجتمع الذي طبعا لا يمكنه أن يعيش بمعزل عنه لأنه " **حين يتأثر بالمجتمع إنما يعكس فهمه هو على هذا المجتمع، و الأدب تصوير لهذا الفهم و نقل له، و الأديب لا ينتج أدبه إلا في الحال التي تستقل فيها ذاته عن المجتمع و يتخذ موقفا فكريا خاصا به**"[4]، فلقد اختار فرحان بلبل من التاريخ فترات تتسع رقعتها للجدلية التي تحكم علاقته مع هذا التراث، و هذا سر ابتعاده عن أزمنة الهدوء و الارتخاء و التسطيح في التاريخ، فهو يختار من التاريخ **الشاعر ديك الجن الحمصي** ليكون اختياره اختيارا مقصودا، حيث يسبح الكاتب في آفاق عليا و في صرامة، طارحا قضية كبرى أبرزها و ألح عليها، و التي يتلخص مضمونها – كوجهة نظر أولية- في أن التاريخ لا يخلو من التحريف و التزييف ليبقى نسبيا له ما يبرره في إطار مستوى المادة المأخوذة ليتسنى له أن يقربها من أذهان المتفرجين و هي مراوغة يتطلبها مثل هذا المضمون.

1-1/ ملخص المسرحية:

إن مسرحية ديك الجن الحمصي من منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق سنة 2005، نشرت ضمن كتاب واحد ضم مسرحية أخرى بعنوان الليلة الأخيرة، تمتد من الصفحة 118 إلى الصفحة 188، أما شخصياتها فهم:

1- ديك الجن 35 - 40 سنة

2- دنيا 25 سنة

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1365

3- بكر 22 سنة
4- نمرود 65 سنة
5- أبو نواس 40 سنة
6- أبو المغيث 45 سنة
7- ورد 20 سنة
8 - والي حمص 35 سنة

مجموعة من الراقصين والراقصات - جنود والي حمص - عدد من الملثمين.

تتكون المسرحية من سبعة مشاهد، تبدأ حينما كان ديك الجن يجلس ليلا رفقة جاريته دنيا و غلامه بكر، يحتسي الخمر و ينشد الشعر إلى أن سمع قرعا شديدا للباب فأخذ سيفه و استعد للقتال، لكن خادمه نمرود طمأنه بأن الطارق ليس من رجال الوالي، فهم لا يقرعون الأبواب و إنما يقتحمونها.

يفتح ديك الجن الباب بغضب بعدما اشتد القرع، يرحب نمرود بالضيف الذي أنكره ديك الجن لكنه يتعرف إليه بعد سماع شعره ليتبين أن الطارق هو أبو نواس فيتعانقان و يعظم أحدهما الآخر، تنطلق السهرة من جديد مع شرب الخمرو إنشاد الشعر و التغني به. يفتح الستار عن المشهد الثاني بقدوم أبو المغيث ابن عم ديك الجن الحمصي، هذا الأخير كان كثير السخط و العتاب لديك الجن و كان يلح عليه في كثير من الأحيان أن يغير سلوكه و أقواله حتى تخف النقمة عليه و ينال رضى الخليفة و الوالي، لكن ديك الجن رفض إملآت ابن عمه و هجاه بأبيات أصيب على إثرها بحالة من الهيستيريا فأخذ يهدده و يتوعده؛ في الباب تقف ورد التي انبهر ديك الجن و بكر بجمالها مما أثار الغيرة في نفس دنيا، حيث شعرت بفقدان مكانتها عند سيدها فثارت ضد ديك الجن و أخذت تخيط له مكيدة بالاشتراك مع ابن عمه أبو المغيث؛ و هو ما وقع في المشهد الثالث حيث لاحظت دنيا شدة تعلق ديك الجن بورد و بكر و العشق المتبادل بين ورد و بكر فحاولت إقناع ديك الجن بأنهما يخونانه، لكنه لم يصدقها و هددها بالقتل إن عادت لقولها. ازدادت دنيا غضبا و أعمت الغيرة بصيرتها فتآمرت على ديك الجن مع أبي المغيث على أن تحرق هي قلبه بإبعاده عن ورد من خلال إدخاله السجن، و أن ينهب هو ماله فيما بعد.

يبدأ الاثنان بتنفيذ الخطة في المشهد الرابع، حيث يقوم والي حمص بزيارة ديك ن في بيته يخبره بأن أمير المؤمنين المعتصم بالله أرسله إليه ليدعوه إلى طاعته و مدحه مقابل مبلغ من المال، لكن ديك الجن أبى و لم يستلم المال و أخبره بأنه إذا مدح أحدا فإنه يمدحه حبا به و ليس حبا بالمال، و هو ما فعله مع جعفر بن علي الهاشمي أحد خصوم الخليفة و المتمردين عليه، يحاول الوالي استمالة ديك الجن لكنه يرفض مجددا الأمر الذي جعل الوالي يتهمه بالزندقة و يهدده بالقتل خاصة بعد أن أقدم ديك الجن على هجاء الخليفة. يتدخل أبو المغيث و يطلب من الوالي أن يمهل ديك الجن بعض الوقت حتى يصحو من الخمر ثم يقدّم الولاء و الطاعة للخليفة، و هنا يكون أبو المغيث قد

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1365

خرق الاتفاق الذي كان بينه و بين دنيا التي أرادت سجن ديك الجن بعد هذه الحادثة مع والي حمص، لكنه –أبو المغيث- يشرع في تنفيذ خطته التي نسجها بحقده و غيرته من ديك الجن، حيث يطلب من دنيا أن تتركه في فسقه و صداقته لبكر و ورد إلى أن يحين وقت تنفيذ خطته و الانتقام من ابن عمه.

يأتي المشهد الخامس حوارا بين ديك الجن و أبي نواس ليكشف لنا عن أهم مبدأ لدى ديك الجن و هو الصدق، فهو يكره النفاق و لا يمدح الرجل إلا بما فيه، عكس ما كان سائدا في عصره، أين كان الشعراء يمدحون الأمراء بما ليس فيهم تكسبا للمال و طمعا في المنصب، في تلك الأثناء يلاحظ أبو نواس أن ديك الجن يجلس مهموما فتتدخل دنيا و تخبره أن سيّدها مكتئب من والي حمص و كلّ ما يحتاج إليه هو الخروج في نزهة رفقة بكر و ورد إلى شاطئ الميماس، يثير ذلك هذين الأخيرين فيلحان على سيدهما بالخروج و التمشي على الشاطئ، يوافق ديك الجن بعد إلحاح شديد ليفتتح المشهد السادس على شاطئ العاصي أو الميماس أين ذهب ديك الجن لإحضار بعض أغصان الريحان حتى يفترشها بكر و ورد الذين قاما فيما بعد بتقديم كأسين من الخمر لسيدهما فيتأملهما و يقول في بكر و ورد شعرا جميلا، لكن ما لبث ديك الجن أن شرب الكأس الأول حتى دخل ثلاثة ملثمين و قاموا بمهاجمة ديك الجن و مرافقيه لكنه استطاع بشجاعته و سيفه أن يردهم لكنه لما رجع تفاجأ ببكر و ورد يتعانقان فهمّ بقتلهما لكنه تراجع بعد ذلك معلنا أنّ الحب لا يقتل.

يرجع الملثمون الثلاثة و وراءهم عدة جنود حيث استطاع بعضهم أن يمسك بديك الجن و قام الآخرون بقتل بكر و ورد، لنتفاجأ جميعا بأن الملثم الثالث هو أبو المغيث الذي أخذ ينادي الوالي و يخبره بأن ديك الجن قتل جاريته و غلامه، يصدّق الوالي أبا المغيث و يأمر الجنود بأخذ ديك الجن إلى السجن، و هنا يتدخل أبو المغيث مرة أخرى و يشير على الوالي بأن يترك ديك الجن يموت بحسرته و قهره و غضبه لفراق أحبائه، ينحني ديك الجن فوق الجثتين و يبكي بكرا و وردا و يظل على هذه الحال إلى أن يأتي المشهد السابع حيث يجلس ديك الجن إلى قبريهما ينشد الشعر في حالة من الوجد و يتلمح شبح بكر و ورد؛ أما أبو المغيث فلم يكتف بما فعله بل نصح الوالي بأن يعلن في الناس بأن ديك الجن قتل جاريته و غلامه حتى يهمل شأنه و لا يبقى منه إلا جريمته، بعد أن أمر الوالي أيضا بحرق جميع أشعاره عقابا له على عدم مدحه الخليفة.

2/ ملامح توظيف الشخصية التراثية في المسرحية:

2-1/ توظيف صفة من صفاتها:

إذا كان أغلب الشعراء المعاصرين -مثلا- الذين وظفوا هذه الشخصية فعلوا ذلك بدوافع نفسية/عاطفيّة، حيث اختاروا الملامح الأبرز من ملامح عبد السلام وهي: الغيرة العمياء، الشك القاتل، الرجل المخدوع، القسوة، حب الانتقام... وما إلى ذلك، انطلاقا من حكاية عشقه لورد ثم قتله إياها حين خانته أو حين صوّروا لـه ذلك، بل إن

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1365

بعض الشعراء ألهبت مخيلاتهم تلك المبالغة التي دخلت على هذه الرواية، من أن عبد السلام قتل وردا وغلامه الذي كان شريكا في الخيانة، وأحرق جثتيهما وصنع من رماد كل منهما كأسا يشرب الخمر منها.

وعليه فقد استخدم شعراؤنا هذه الشخصية انطلاقا من ملامحها التي كانت تلتقي أو تتلاءم في لحظة ما مع طبيعة تجاربهم المعيشة في الحب والشك والغيرة والخيانة والانتقام، أو مع طبائع التجارب التي يريدون التعبير عنها، وقد عمل هؤلاء الشعراء على تأويل هذه الملامح بأشكال خاصة لتلائم تماما طبيعة تجاربهم العاطفيّة، أو تجارب شخوصهم، التي يجعلونها تتقمص ديك الجن وتعبر من خلاله.

إلاّ أنّ فرحان بلبل في مسرحيته ألبس ديك الجن ثوبا آخر بعيدا عن الغيرة و الشك و الانتقام، حيث نجده بعد إخبار دنيا له بعلاقة بكر و ورد يتهمها بالكذب و يهددها بالقتل إن عادت لقولها[5]:

دنيا: (تنادي) سيدي. سيدي.

(يدخل ديك الجن)

ديك الجن: ماذا تريدين؟

دنيا: ما تقول فيمن يغدر بك بعد أن وثقت به؟

ديك الجن: أقتله.

دنيا: فإن كان الغدر من أعز الناس عندك؟

ديك الجن: وضحي ما تقولين.

دنيا: غلامك بكر وحبيبتك ورد.

ديك الجن: ما شأنهما بالغدر وهما من أوفى الناس لي؟

دنيا: يحبان بعضهما.

ديك الجن: (يمسك بخناقها) أتفترين عليهما الكذب؟

دنيا: رأيتهما بعيني وسمعتهما بأذني.

ديك الجن: أعرف أنك تغارين من ورد. (يشدد على خناقها) إن سمعت منك حرفاً واحداً عنهما، كانت منيتك على يدي.

(يتركها بقسوة ويخرج)

كما نجده أيضا بعد تأكده من قول دنيا في المشهد قبل الأخير يعفو عن بكر و ورد و يرمي السيف من يده بعدما همّ بقتلهما[6]:

ديك الجن: هل تسمعان؟

بكر: (يتسمع) لا أسمع شيئاً يا سيدي.

ورد: لعلك..

ديك الجن: هس.

(ديك الجن يسحب سيفه استعداداً. يُبعِد بكراً ووروداً إلى الخلف بقوة وتوتر. يدخل ثلاثة من الملثمين. ديك الجن يسحب سيفه ويهجم نحوهم بغضب وهو يصرخ كمن يستعد

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1365

للموت. الملثمون الثلاثة يتلقون ضربات ديك الجن. ثمَّ يتراجعون أمامه وهو يلحق بهم خارج المسرح)

(ورد تهجم على بكر وتبكي خوفاً)

ورد: أنا خائفة يا بكر.

بكر: لا تخافي يا حبيبتي.

ورد: ضمني إليك يا حبيبي.

(بكر وورد يتعانقان. يدخل ديك الجن والسيف في يده)

ديك الجن: أتغدران بي يا خائنين؟

ورد: افهمنا يا سيدي.

ديك الجن: وهل الغدر يُفهَم؟

(يهجم نحوهما ليقتلهما يبدو بكر وورد كأنهما مستسلمان لديك الجن. ديك الجن يتوقف عندهما. يرمي السيف من يده)

ديك الجن: الحب لا يُقتَل.

بل نجده بعد ذلك يدافع عنهما و يبكي لمقتلهما[7]:

(يدخل الملثمون الثلاثة وراءهم عدة جنود)

الملثم1: لكن معارض الخليفة يُقتَل.

(يهجم الجنود على ديك الجن كأنهم سيقتلونه. بعضهم يقبض على ديك الجن ويثبته حتى لا يتحرك. بعضهم يقتل بكراً وورد).

ديك الجن: (يصرخ) آه.

(يهم بالتخلص من قيده لكنه لا يستطيع. الملثمون يرفعون لثامهم. الثالث هو أبو المغيث)

ديك الجن: لماذا قتلتم بريئين ولم تقتلوني؟

إنّ شخصيات المسرحية تعدّ عنصرا رئيسا، فهي التي يقوم عليها أداء الفعل الدرامي و رسم الأحداث التي تتطور لخلق سلسلة متتابعة من خلال الحوار، لنجد أن التراث يعطي للأديب المعاصر شخوصه مجهزة الملامح و السمات و الأبعاد و ما عليه إلا أن يحركها بطريقته الخاصة، و هو ما فعله فرحان بلبل حين اختار من صفات الشخصية ما يلائم موضوعه و ما يهدف إليه، فاستعار من شخصية ديك الجن صفة المجون و الشرب و ليالي السمر لكن ليس حبا في المجون و لا عربدة كما هو مصور في كتب التراث، بل لأنه يعيش حالة من القلق و الغضب و القهر[8]:

الوالي: أيحب أحد خصومَ الخليفة؟

ديك الجن: أحب الحزانى أيها الوالي. أحب الذين يبكون من ألم القتل وظلم القهر. فالحزن في صدري دفين.

الوالي: (يضحك بسخرية) ماجن وتتحدث عن الحزن؟

ديك الجن: ليس المجون سوى وجه من الألم. والألم وجه من وجوه الغضب.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1365

إن ما نلاحظه في عملية توظيف الشخصيات من طرف فرحان بلبل أنه يتتبع شخصياته و يأخذ منها ما يتفق و الفكرة التي يريد إيصالها، ليكوّن تعاملا آخرا يتمتع بروح معاصرة حيث تناول الماضي بوصفه مادة قابلة للمناقشة و المحاكمة، فديك الجن في كتب التراث غير ديك الجن في مسرحية فرحان بلبل، ذلك أن هذا الأخير رسم ديكه ضمن الإطار العام الذي اشتهر به و هو المجون و الشرب و اللهو، إلاّ أنّه جعل لهذه الصفات ما يبررها في المسرحية، فكأنّي بفرحان بلبل يعلن على لسان ديك الجن أن ليس المجون سوى وجه من الألم، و الألم وجه من وجوه الغضب.

لكن هل يعني ذلك أنّ وجوه الغضب عند فرحان بلبل قد كثرت و تعددت فاستعان بديك الجن ليكشفها و يطلعنا على ما آلمه منها؟

تفتح المسرحية بحوار بين ديك الجن و نمرود، يكشف من خلاله فرحان بلبل عن أكثر الوجوه إغضابا و أشدها ألما، إنّها صورة المثقف و علاقته بالسلطة، صورة قوامها القمع و البطش و كبح الحريات و الأفكار[9]:

(يصفق الحاضرون طرباً. الخادم نمرود يتقدم نحو ديك الجن حاملاً كأس خمر. ديك الجن يشربه دفعة واحدة ثمَّ يعود إلى العزف. (يقرع الباب قرعاً شديداً. ديك الجن يترك العود بسرعة وينهض ويحمل سيفه مستعداً للقتال)

ديك الجن: (بنزق وعصبية فهو سريع الغضب) افتحوا الباب وابتعدوا.

(يدفع الجميع وراءه ممَّا يدل على قوته البدنية)

نمرود: ليس الطارق من رجال والي حمص يا سيدي. فلا تخف.

ديك الجن: ما أدراك أنهم لم يأتوا للقبض علي؟

نمرود: رجال الوالي يقتحمون البيوت ولا يقرعون الأبواب. (يضحك) أراك هذه الأيام تخاف من الذباب إذا طن حول رأسك.

إنّ ما جاء في جواب نمرود فضح لما آل إليه واقع المثقف العربي، فهو لم يعد في بيته في مأمن من السلطة و بطشها، لكن هذا لا يعني استسلام المثقف و خضوعه للتخويف الممارس عليه من طرف السلطة، بل إنه مستمر في نضاله مستعد لما سيؤول إليه مصيره، و يفضّل العيش فقيرا على أن يعيش ذليلا[10]:

الوالي: اخرس يا ديك الجن، يا حشرة تسعى في خوابي الخمر أو تزحف بين الأشجار.

ديك الجن: حشرة تغني للحب خير من رجل يركع ذليلاً أمام المنصب والمال.

و مما يؤكد لنا أن الديك يتحدث بلسان البلبل -و العكس صحيح- تصريح هذا الأخير في أواخر تسعينات القرن العشرين في حوار له أنّ "المسؤولين في الحركة النقابية السورية لم يعودوا يريدون المسرح و أصبحوا يخافون منه لأننا –كما يقول- شكلنا عناصر مخيفة يجب الابتعاد عنها، و لهذا تراجعنا علما بأننا لم نستجب لهذا التخويف بل بقينا نقول ما يجب أن يقال."[11]

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1365

كما أنّ القاسم المشترك بينهما أيضا كونهما من مدينة حمص و لم يغادراها إلا نادرا، و لعل هذا ما ساعد على اندماج الشخصية التراثية مع الإطار العام للمسرحية، و مقدار إسهام هذه الشخصية في تعميق دلالات النص المسرحي و أهدافه.

لقد استطاع فرحان بلبل أن يقتبس من شخصية ديك الجن ما يؤلف همّا جماعيا، حيث رسم من خلاله صورة المثقف العربي الشجاع، المتمسك بمبادئه و أفكاره، غير ال بإغراءات المال و المنصب، فنجد ديك الجن على عدم مدح الخليفة المعتصم بالله لأنه –ديك الجن- متشيع لآل علي بن أبي طالب، كما أنّه لا يبالي إن كان جميع شعراء عصره يرضخون للخليفة و يمدحونه رغبا و رهبا[12]:

الوالي: جئتُ زائراً يا ابن رغبان.

(ديك الجن يضع سيفه عند باب الغرفة)

ديك الجن: أهلاً بوالينا الكريم مادام قادماً إلينا بزيارة.

الوالي: أنت ذو مكانة عالية يا ابن رغبان. وجئت لأرى إن كنت تريد شيئاً أو تطلب أمراً.

ديك الجن: تكفيني زيارتكم يا سيدي. (يلتفت إلى نمرود) قدم شراب الورد لوالينا.

الوالي: لا أريد شيئاً يا ابن رغبان. هناك أمر أحب أن أتداول معك بشأنه.

ديك الجن: ما هو؟

(يدخل بكر ويقف إلى جانب ديك الجن)

الي: (يخرج رسالة من جيبه) أمير المؤمنين المعتصم بالله أرسل إلي رسالة يدعوك فيها إلى طاعته. وأمرني أن أدفع لك هذا المال.

(الوالي يبرز صرة مال)

ديك الجن: شكراً لك وللخليفة. لكني لا أريد ماله.

الوالي: اسمع. جميع شعراء أرض الخلافة مدحوا أمير المؤمنين إلا أنت.

ديك الجن: أنا لا أمدح أحداً.

الوالي: لكنك مدحت جعفر بن علي الهاشمي وقلت فيه:

أنت أبا العباس عباسُها* إذا استطار الحدَثُ المعضِلُ

وأنت ينبوع أفانينها * إذا همُ في سنةٍ أمحلوا

نقول بالعقل وأنت الذي* نأوي إليه وبه نعقـل

نحن فداءٌ لك من سيد* والأرضُ والآخِرُ والأولُ

ديك الجن: مدحته حباً به ولم أمدحه حباً بالمال.

إنّ هذا الحوار يكشف لنا عن مدى وعي ديك الجن و أدبه حتى مع خصومه، إذ أنّه وضع السيف جانبا و رحّب بالوالي ملتزما أدب الضيافة لمّا سمع بقدومه زائرا لا معنّفا، ليضرب لنا مثلا رائعا عن المثقف الواعي الذي يتسامى عن ممارسات السلطة و قمعها و يخفض لها جناح الرحب، حتى و إن عدّت الثرثرة كلاما في السياسة يستوجب الضرب[13]:

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1365

جندي: قل لسيدك عبد السلام بن رغبان إن والي حمص يريده.
نمرود: والي حمص بذاته يزور كوخ سيدي المسكين؟
جندي: لا تثرثر يا عجوز وإلا...
(الجندي يرفع يده ليضرب نمرود)
نمرود: أتضربون الناس على الثرثرة؟ ماذا تفعلون بهم إذا تكلموا من غير ثرثرة؟
والي حمص: هل علّمك سيدك الكلام في السياسة يا عجوز؟
نمرود: أنا تكلمت في السياسة يا سيدي الوالي؟
والي حمص: أخبر سيدك أني أريده.
نمرود: حاضر. حاضر.

كما أشار فرحان بلبل من خلال هذه المسرحية إلى قضية أخرى أصبحت سائدة في عالمنا العربي و تنخر جسد الأمة العربية، لما لها من آثار سلبية على المجتمع عامة و المثقف خاصة، إنها قضية الخيانة، سواء أكانت الخيانة بسبب الطمع و المال أم بسبب الغيرة و الانتقام، فنجد أبا المغيث –و هو ابن عم ديك الجن- يحاول في كلّ مرة أن يقدم النصح و الإرشاد لابن عمه بهدف إبعاده عن الخمر و ليالي السمر، و أن يغير سلوكه و أقواله صونا لسمعته، بل إنه يتهمه بالفسوق و التمرد بسبب عدم مدحه للخليفة، فيحاول نصحه و إقناعه بمدحه لكي تخف النقمة عليه[14]:

دنيا: دعه يا بكر. فهو سخيف ومزعج وغبي. (تلتفت إلى أبي المغيث الذي يحاول أن يرد على دنيا) لا تدافع عن غبائك. أخبرني. لماذا تريد أن توقظه؟
أبو المغيث: لأصون سمعته وأحفظ كرامته.
دنيا: كيف؟
أبو المغيث: بأن يغير سلوكه وأقواله حتى تخف النقمة عليه.
دنيا: ومن ينقم عليه؟
أبو المغيث: كل الناس. من الخليفة في بغداد إلى والي حمص. البارحة سمعت أن والي حمص غاضب منه أشد الغضب. ولن يسكت عن أفعاله.
دنيا: لماذا ينقمون عليه؟
أبو المغيث: سكرٌ وخمرٌ وغناء في الليل. وتبطُّلٌ في النهار. وتقصير في مدح الخليفة في بغداد. وفوق هذا، مدحٌ لآل هاشم في السلمية.
دنيا: أعرف أن الناس يحبونه ويرددون أشعاره في كل مكان.
أبو المغيث: ويرددون قولـه في مدح جعفر بن علي الهاشمي:
نغدو لسيدنا نحصي الحصا عدداً
في الخافقين ولا نحصي فواضِلهُ.
دنيا: ما الذي يُغضِب الخليفة من هذا القول؟
أبو المغيث: افهمي يا دنيا. جعفر بن علي الهاشمي هذا يثير الناس على الخليفة بحجة أنه خليفة ظالم يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف، وأن حاشيته من أراذل الناس.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1365

يعني.. سيدُك الفاسق يترك مدح الخليفة ويمدح خصومه والناقمين عليه. ومادحُ المتمرد على الخليفة متمرد.

دنيا: سيدي يمدح من يريد.

أبو المغيث: لكن الناس يرددون مدح سيدك المجنون للمتمرد على الخليفة.

إنّ قناع النصح الذي ارتداه أبو المغيث في المشهد الثاني من المسرحية سرعان ما ينكشف ليظهر الوجه الحقيقي له في المشهد الثالث، خاصة بعد أن قام ديك الجن بهجائه على الملأ، إذ أصبح المغيث خبيثا فليست النصيحة من شيمه، و لم يكن الخوف على ابن عمه همّه و مراده، بل كان طامعا في نهبه حيا، و وراثته ميّتا[15]:

دنيا: ألا تكره ابن عمك هذا الشاعر الفاسق؟

أبو المغيث: أكرهه وأتمنى موته.

دنيا: قل لي أولاً. لماذا تكرهه؟ لا تقل لي لأنه فاسق ولأنه يعارض الخليفة ولأنه يحب الهاشميين خصوم الخليفة. فهذه حجة لا أقتنع بها. أخبرني بالحقيقة. الحقيقة وحدها.

أبو المغيث: هذه هي الحقيقة.

دنيا: (تلكزه) تكلم واصدق. وإلا أسمعتك أقبح الشتائم.

أبو المغيث: ديك الجن عنده مال كثير من الهبات والعطايا التي يرسلها إليه محبوه.

دنيا: أعرف هذا. وأعرف أنه لا يهتم بالمال ولا يخفيه عني أو عن غلمانه وجواريه.

أبو المغيث: وقد ورث أرضاً واسعة في ظاهر حمص.

دنيا: لا أعرف هذا الإرث.

أبو المغيث: وهو لا يعرفه لأنه لم يسأل عنه. حتى عندما أخبروه به لم يلتفت إليه.

دنيا: الآن فهمت ما تريد. تريد أن تنهبه حياً وترثه ميتاً.

أبو المغيث: أنا ابن عمه. و الشرع يجعلني وريثه بالحلال. أم تظنين أني آكل المال الحرام؟

دنيا: حقاً إنك أبو الخبيث.

إنّ القارئ لهذا الحوار يلاحظ التغيّر الذي طرأ على دنيا، حيث انقلبت من جارية وفية مخلصة لسيدها إلى متآمرة عليه، تريد معاقبته من خلال إبعاده عمّن يحب، مستغلة الكره الدفين لابن عمه أبو المغيث لتنسج معه خطة من أجل الانتقام من سيّدها الذي استبدل حبها بحب ورد[16]:

أبو المغيث: وأنت يا جارية. أخبريني بالحقيقة. الحقيقة وحدها.

دنيا: أية حقيقة؟

أبو المغيث: أعرف أنك تحبين سيدك الفاسق وأنك تفتدينه بروحك. فماذا جرى حتى صرت تدبرين له ما تدبرين؟ لا تقولي إنك تعطفين علي وتريدين لي الخير أو إنك تريدين المال. هيه. (بحزم يكشف عن قوته) تكلمي. لماذا تدبرين له ما تدبرين؟

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1365

دنيا: لأنه أحرق قلبي. أحب هذه الفتاة البلهاء وتركني بعد كل إخلاصي له. فإذا أحرقتُ أنا قلبه، ونهبتَ أنت ماله، عاد إلي صاغراً وارتمى تحت قدمي نادماً. فتعود مكانتي كما كانت. عندها أغمره بحنان لا يعرف أحدٌ مثلَه.

أبو المغيث: وإذا ظل على حبه لتلك الفتاة؟

دنيا: سيعرف معنى أن يغدر بامرأة تحبه.

أبو المغيث: ويلي من كيد النساء.

دنيا: (تصرخ فيه) قل إنه جزاء الغدر بالحب.

أبو المغيث: كما تريدين. سأذهب إلى والي حمص.

دنيا: ولا تتأخر.

أبو المغيث: لكن اعلمي أني إن خطوت خطوة لا أتراجع عنها.

دنيا: واعلم أن دنيا تقتل من يمنعها إن أرادت أن تخطو في أمر خطوة.

أبو المغيث: الآن اتفقنا. (يهم بالذهاب ثم يتوقف) ألا تعجِّلين لي بشيء مما يسر القلب؟

دنيا: (تتناول صرة مال وتدفعها إليه) خذ ما يُفرِح قلبك ويقوي عزيمتك.

(أبو المغيث يخرج مسرعاً)

لعلّنا ندرك الآن سبب التحول الذي طرأ على شخصية دنيا، فقد أعمت الغيرة بصيرتها ورأت في حب ديك الجن لورد غدرا يستوجب القصاص، حتى و إن كلّفها ذلك أن تتحالف مع عدوّه أبي المغيث الذي يقبل بتنفيذ الخطة دون تردد ما دام هناك ما يسرّ قلبه و يقوي عزيمته؛ وربما يؤكد هذا خبثه و براعته في تدبير الدسائس مقابل المال، و إن كان في ذلك هلاكا لابن عمّه، لكنّه يؤكد في المقابل مدى الحب الذي تكنّه دنيا لسيّدها إذ لم تتقبل حب ديك الجن لورد و أحست بفقدان مكانتها عنده فأقدمت على خيانته و الانتقام منه. لكن، لماذا نزع بلبل عن دنيا ثوب الوفاء و الإخلاص و ألبسها ثوب الخيانة و الغدر و الانتقام، خاصة إذا علمنا –كما مرّ سابقا- أنّ فرحان بلبل لم يلتزم بما أوردته كتب التراث الأدبي حول حياة ديك الجن، و جاء بشخصية دنيا كجارية له**؟

إنّ المتأمل في هذا الاسم -دنيا- قد يعي التطابق بين الاسم و المسمّى، فالتحول الذي طرأ على شخصية دنيا في المسرحية هو التحول نفسه الذي يواجهنا في هذه الحياة الدنيا، فدوام الحال من المحال كما يقال، و كأني بفرحان بلبل ينصحنا و يحذرنا من الوثوق بما في هذه الدنيا، فقد تسرّك اليوم و تبكيك غدا، بل ربما هي رسالة إلى المثقف العربي الذي قد يتخلى عن مبادئه و أفكاره التي يؤمن بها و يعيشها، و يفتتن بما قد يعرض عليه من مناصب و زينة في الحياة الدنيا؛ فكلّ تلك الأمور عرض زائل، و ما كان منحة اليوم قد يصير محنة غدا.

أما أبو المغيث فقد ذكرت كتب التراث أنّ اسمه أبو الطيب، لكن الكاتب جعل الطيب مغيثا نظرا للدور الذي قام به في المسرحية، فقد كان السبب في عدم اعتقال ديك الجن من طرف والي حمص بعدما قام ديك الجن بهجاء الخليفة، كما كان السبب في

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1365

عدم قتله من طرف جنود الوالي في نهاية المسرحية بعد اتهامه بقتل غلامه و جاريته، فكأني بأبي المغيث قد أغاث ابن عمه من الوالي و جنوده مرتين، لكنه لم يكن طيّبا بل كان خبيثا عندما ندرك أن ما قام به ليس سوى تدبيرا أراد من خلاله إنهاء ابن عمّه بطريقته الخاصة، فهو عندما تشقّع له عند الوالي في المرة الأولى أراده أن يتمادى في غيّه و استكباره حتى إذا قام بتنفيذ خطته و انتقامه لم و لن يغضب له أحد[17]:

الوالي: (وقد ازداد غضباً) تهجو الخليفة يا أحقر الخلق؟ (إلى الجنود) اقبضوا عليه.

(يهجم الجنود على ديك الجن. يندفع نمرود وبكر للدفاع عنه. يتضاربون. يدخل أبو المغيث مسرعاً)

أبو المغيث: انتظر يا سيدي الوالي. انتظر. (إلى المتضاربين) انتظروا (يتوقف العراك)

الوالي: ماذا تريد يا أبا المغيث؟

ديك الجن: ما الذي أتى بك في هذه اللحظة يا أسوأ ابن عم؟

أبو المغيث: جئت لأني أشفق عليك يا ناكر الجميل. (يلتفت إلى الوالي) انتظر عليه بعض الوقت يا سيدي. سوف يعود إلى عقله حين يصحو من الخمر. وسوف يقدم الطاعة والولاء لأمير المؤمنين.

الوالي: أسمعت ما قاله في هجاء الخليفة؟

أبو المغيث: سيعود إلى عقله ويستبدله بأجمل المديح.

الوالي: أفضل أن أسجنه أياماً يذوق فيها طعمَ العصي ولذةَ التعذيب. عندها يعود عقله إليه.

أبو المغيث: أنا أتشقّع له عندك.

الوالي: سأقبل شفاعتك فيه. (إلى الجنود) اتركوه.

(الجنود يتركونه)

أبو المغيث: ادخل إلى غرفتك يا ابن العم. أدخِلْ سيدَك إلى غرفته يا نمرود أنت وبكر.

نمرود: تعال يا سيدي.

(نمرود وبكر يسحبان ديك الجن إلى الداخل. دنيا تلحق بهما)

أبو المغيث: سوف يطيعك فيما تريد يا سيدي الوالي، ويمدح الخليفة ويُظهر له الطاعة.

الوالي: وإذا لم يفعل؟

أبو المغيث: لكل حادث حديث.

الوالي: لكن أمير المؤمنين أمرني أن أنتهي من أمره. فإما الطاعة وإما الموت.

أبو المغيث: اسمع نصيحتي يا سيدي الوالي. ولن تكون إلا راضياً.

الوالي: سأمهلك أياماً. وبعدها..

أبو المغيث: (يقاطعه) تفعل ما تريد..

(الوالي وجنوده يخرجون تعود دنيا)

دنيا: ويلك يا أبا الخبائث. طلبت منك أن تحرض الوالي على ديك الجن حتى يسجنه. لا أن تدافع عنه.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1365

أبو المغيث: من قال إني دافعت عنه؟
دنيا: تشفعتَ لـه عند الوالي وأمهلته حتى يمدح الخليفة. أتريد أن يصبح ذا مكانة عند والي حمص؟
أبو المغيث: افهمي ما أريد يا جارية.
دنيا: أنت تناقض الاتفاق بيننا وتدافع عن هذا الفاسق. فماذا أفهم؟
أبو المغيث: لن يحدث إلا ما تحبين وما أريد. فشاعرك المغضوب لن يستجيب لمدح الخليفة.
دنيا: وإن خاف على نفسه ومدح الخليفة؟
أبو المغيث: (يضحك ساخراً) ديك الجن يخاف على نفسه؟ ألا تعرفينه متهوراً وأنه يعد تهوره من الشجاعة وقوة القلب؟
دنيا: وماذا نفعل به؟
أبو المغيث: نتركه الآن لحاله. سوف يغرق أكثر في فسقه وصداقته لذاك المخنث بكر وفي حبه لتلك السخيفة ورد.
دنيا: أتريد أن يستمر في حبها وينساني؟
أبو المغيث: اخلعي حبه من قلبك. فهو ليس لك يا غبية. فدعيه في غيه واستكباره حتى لا يغضب له أحد إن فعلنا فيه ما فعلنا. فأنال ما أريد. وتنتقمين منه كما تريدين.
دنيا: (بعد لحظة تفكير) هو ما تقول. هو ما تقول.
أبو المغيث: على أن تهدأ الأمور وينسى الجميع ما جرى له.
دنيا: و الوالي؟
أبو المغيث: اتركيه لي. فسوف ألجم كرهه لابن عمي الفاسق حتى أنفذ ما تطلبين من الانتقام.
(يتجه أبو المغيث ليخرج. يرى صرة المال فيأخذها)
كما نجد (أبو الخبيث) يمنع القصاص على ابن عمه، لكن ليس رحمة به بل تشفيا و تعذيبا وقهرا له، فقد شهد ضده و اتهمه بقتل غلامه و جاريته بعد أن شارك هو في مقتلهما[18]:
(يهجم الجنود على ديك الجن كأنهم سيقتلونه. بعضهم يقبض على ديك الجن ويثبته حتى لا يتحرك. بعضهم يقتل بكراً وورد).
ديك الجن: (يصرخ) آه.
(يهم بالتخلص من قيده لكنه لا يستطيع. الملثمون يرفعون لثامهم. الثالث هو أبو المغيث)
ديك الجن: لماذا قتلتم بريئين ولم تقتلوني؟
أبو المغيث: نحن قتلنا أحداً يا فاسق؟ (ينادي) سيدي الوالي. (يدخل الوالي) أمامك قاتل.
الوالي: تقتل جاريتك وغلامك يا مجرم؟
ديك الجن: ماذا تقولون؟

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1365

أبو المغيث: هذا مصير الفاسقين. يتحولون إلى مجرمين.
ديك الجن: هم الذين قتلوا جاريتي وغلامي.
الوالي: (يلتفت إلى أبي المغيث) أصحيح ما يقول؟
أبو المغيث: نحن نشهد أننا رأيناه وهو يقتل الجارية والغلام.
الوالي: وأنا أقبل شهادتكم.
ديك الجن: هؤلاء هم القتلة.
الوالي: أتفتري الكذب على غيرك يا قاتل؟
ديك الجن: سأخبر الناس أنكم قتلتم بريئين.
الوالي: ستكون شهادة الوالي ورجاله وهذا الرجل الطيب التقي (يشير إلى أبي المغيث) مقابل شهادة رجل فاسق. فمن يصدقون؟ (يلتفت إلى الجنود) جروه إلى السجن. وغداً أرسل إلى أمير المؤمنين أن الشاعر الفصيح سيخرس تحت وطأة حد السيف. فالقصاص عقوبته.
الملثم 3: عندي ما هو أقسى من القصاص يا مولاي.
الوالي: ما هو؟
الملثم 3: القهر والحسرة والغضب.
الوالي: لكنه قاتل كما تقول.
أبو المغيث: دعه لما جنت يداه. (يقترب من ديك الجن وينحني فوقه) ألم تقل إنك صامت من القهر؟ الآن تعرف طعم القهر يا شاعر المجون. (إلى الوالي) سيدي الوالي. لتكن هذه عقوبته.
ديك الجن: اقتلوني بعدما قتلتم غلامي وجاريتي. اقتلوني.
أبو المغيث: بل نترك لك ذكراهما بعدما أحرقنا قلبك. تتعذب طوال امتداد الليالي، وتتألم طوال إشراقات النهار.
(يتركونه ويقفون في طرف المسرح. ديك الجن ينحني فوق الجثتين. يحمل عقد اللؤلؤ عن صدر ورد ويبكي).

نلاحظ في ثنايا هذا الحوار أنّ الكاتب قد امتنع أحيانا عن تسمية أبي المغيث باسمه، و اكتفى بالإشارة إليه على أنّه الملثم الثالث، و كأنه ـالكاتبـ أراد أن يثبت أن صفة التقوى التي تظاهر بها أبو المغيث من خلال كرهه لابن عمّه بسبب شرب الخمر و ليالي المجون و السمر، و تظاهره بالخوف عليه من بطش الوالي و الخليفة، ما هو إلا لثام أو قناع تستر خلفه من أجل إنهاء ابن عمّه و نهب أمواله، و هو ما تم له فعلا، حيث أمره الوالي بأخذ كلّ ما هو موجود في بيت ديك الجن بعدّه الوريث الشرعي له، و لم يكتف أبو المغيث بذلك بل أشار على الوالي بأن يعلن في النّاس أنّ ديك الجن قتل غلامه و جاريته فينسونه و لا يتذكرون منه إلا قتله لغلامه و جاريته[19]:

أبو المغيث: (إلى الوالي) أترى يا سيدي؟ سيظل في العذاب والحزن أبد الدهر. وسوف يهجره الناس كأنه الحشرة التي لقبوه بها.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1365

الوالي: وماذا أقول للخليفة؟
أبو المغيث: قل له إنه لا حاجة لمدح رجل صار قاتلاً بعد أن كان فاسقاً وزنديقاً. فالشعراء المادحون حوله كثيرون.
الوالي: وإن غضب الناس له؟
أبو المغيث: القاتل لا يغضب لـه أحد. فأعْلِنْ أنت في الناس أنه قتل جاريته وغلامه. والقاتل يُهمل شأنه فلا يبقى منه إلا جريمته. ولن يبقى من ديك الجن إلا أنه قتل أحب الناس إليه.
الوالي: ولكي لا يبقى منه إلا جريمته، فسوف آمر أن يُحرقَ ديوانه وأن يُهمَل شعره.
أبو المغيث: فلا يسمع به أحد بعد اليوم. ولا يتذكر أحد هجاءه للخليفة.
الوالي: اذهب إلى بيته وخذ ما فيه. فهو حلال لك لأنك وريثه. (يقترب الوالي من ديك الجن) ستبقى وحدك على شاطئ الميماس حتى نهاية عمرك. هذا جزاء من لا يمدح الخليفة.

يبدو لنا من خلال هذا الحوار أنّ الكاتب أراد أن يرسم لنا صورة عن واقع المثقف في عصرنا الحاضر، فكانت شخصية أبو المغيث رمزا لأولئك الخونة الذين تواطؤوا مع السلطة سواء أكانوا أشباه مثقفين (على اعتبار صلة القرابة بينه و بين ديك الجن)، أم كانوا متظاهرين بحب الثقافة و المثقف، فإن خضع هذا الأخير -المثقف- لإملاءات السلطة و أتباعها، و استسلم لإغراءاتها أصبح أداة بين أيديها تضل به كثيرا من الناس و تسعى في الأرض فسادا؛ و أما إذا استمسك المثقف بمبادئه و أفكاره، و كشف عيوب السلطة و أتباعها كان جزاؤه جزاء ديك الجن، فقد تشوه سمعته من خلال نشر الأكاذيب في وسائل الإعلام المختلفة، بل قد يواجه تهما لا قبل له بردّها، و قد لا ترى كتاباته و أعماله النور، و إن طُبِعَت أُحرِقَت و أُهمِلَت.

بالإضافة إلى ذلك يضرب لنا فرحان بلبل مثلا عن المثقف السلبي الذي استسلم لإغراءات السلطة و تحول بأموالها إلى ناطق باسمها، حيث قام بتوظيف شخصية أبي نواس الذي لا يجد مانعا في النفاق من خلال مدح الخليفة كاذبا مقابل حصوله على مبالغ من المال[20]:

ديك الجن: دعك ممَّا سمعت. فلا أقمتُ وزناً لما قال، ولا خفتُ ممَّا هدد.
أبو نواس: (يضحك ضحكة خفيفة مكتومة) وسمعت هجاءك للخليفة وأعوانه.
ديك الجن: يستحق ويسْتحقون أكثر ممَّا ذكرت.
أبو نواس: ولماذا لا تفعل مثلي يا ابن رغبان؟ أمدح الخليفة كاذباً، وأشرب الخمر بماله صادقاً.
ديك الجن: لا أحب النفاق يا أبا نواس.
أبو نواس: ألا ترى الشعراء يفعلون ذلك؟

ديك الجن: ما الشعر إلا نفحةُ اللهب بالصدق نرعاها على الحِقَبِ
تسري بنا عنفاً فنشربها صرفاً فتنهانا عن الكذب

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1365

أبو نواس: ما أصدق نفسك يا ابن رغبان. أتمنى لو كنت مثلك. لكني أحب الخمر والنساء. ولابدَّ من المال كي أشرب وأتغزل.

كما يضيف الكاتب من خلال ما سبق صفة حميدة لشخصية ديك الجن، حيث جعله مثالا للمثقف الصادق مع نفسه و غيره، يكره النفاق و الكذب و لا يبالي بما قد يصيبه جرّاء ذلك، بل إنّه يسخر من الوالي و جنوده في حوار كشف عبره فرحان بلبل عن أزمة أخرى يعيشها المثقف في صراعه مع السلطة، كون هذه الأخيرة تسعى جاهدة من أجل مراقبة المثقف و إخضاعه لإرادتها و الزج به في سجونها و ممارسة كلّ أنواع التعذيب عليه، في حين نجدها موطئ أقدام الأعداء الحقيقيين الذين يتربصون بهذه الأمة، إذ الجبن و الخوف و الخنوع أبرز صفاتها، لا نرى منها الأفعال إلا التنديد و الاستنكار[21]:

نمرود: أتظن سيدي يخاف تهديدك؟

الوالي: انتبه لما تقول يا عجوز. فإن لصبري وصبر أمير المؤمنين حداً نقف عنده. واعلم أن حد الصبر عندي وعنده قصير.

ديك الجن: (يضحك بسخرية) ولماذا لا تجعل هذا الحد طويلاً؟

الوالي: لأنَّ أمير المؤمنين من رجال الحرب. ورجال الحرب لا يعرفون إلا الحرب. ومع خصومهم على وجه التحديد.

ديك الجن: رجالُ الحرب في حرب علينا وفي سلم مع الأعداء جُبْنـا

فإن كنا نصوغ القولَ صمتاً فمن خوفٍ ومن قهرٍ صمتنا

الوالي: اخرس يا فاجر.

(الوالي يشير إلى جنوده فيحيطون بديك الجن)

2-2/ توظيف بعض حوادث حياة الشخصية التراثية:

إنّ من أبرز المزالق التي قد يقع فيها الأديب المعاصر، تكديس الشخصيات، إذ لا تكون هناك أية فرصة لأية شخصية أن تعبّر عن تجربته، و بالتالي تفقد الغرض الأصلي من استدعائها و حضورها في السياق الثقافي الجديد، مما يسبب التشتيت الفكري للقارئ أو المتفرج و يعجز عن تحقيق الدلالة الرمزية للشخصية التراثية؛ لكنّ فرحان بلبل استطاع ببراعته أن يتجنب هذا المزلق و أعطى لكلّ شخصية دلالة معينة بحسب ما يريد إيصاله للقارئ أو المتفرج، فنجده في توظيف شخصيتي بكر و ورد يحاول إيصال صورة الوفاء في أصفى مشاهدها، فعلى الرغم من شدّة الحب الذي جمع بين بكر و ورد إلاّ أنّهما لم يستطيعا خيانة سيّدهما[22]:

بكر: لكني منذ رأيتك شعرت أنك ملأت عليَّ الدنيا فلم أعد أرى أحداً غيرك يا ورد. حتى سيدي ديك الجن لم يعد يملأ قلبي.

ورد: أيعني ذلك أنك تخونه إن أحببتني ما دام يحبني؟

بكر: اشا لله أن أخون سيدي. فالحب أمانة. وليس الحب خيانة. سأظل وفياً له ما دمت على قيد الحياة. أنقذني من ذل العبودية. وعاملني كأنني ولده. وفرح بي كأنني قصيدته.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1365

ورد: لكنك تحبني.
بكر: سأكتفي بشعور الحب. لن أمد إليك يداً أبداً. ولن ألمس منك جسداً. فروحي الهائمة... تعانق روحك الحائرة. فإذا صار الفرحُ بالحب عذاباً للجسد، كان الوفاءُ لسيدي بلسماً للجراح.
ورد: ما ألذ كلامك يا بكر.
بكر: وأنت يا حبيبتي. هل تشعرين بغير الفرح لأنك أحببتني؟ فكّري قبل أن تردي عليّ. فكّري.
(ورد تدعي أنها تفكر. بكر شديد اللهفة لها. دنيا تمد رأسها قليلاً من طرف المسرح وتسمع)
ورد: إذا فكرت قلت إني أحبك حباً ليس أحلى منه.
بكر: وإذا لم تفكري؟
ورد: سارعت إلى القول:
وأحبك حباً من عسل وعيونُك تُحيي لي أملي
وحريراً بين يديك أكونْ يستر خجلي عند الخجل
بكر: كأنك تنطقين بلسان قلبي يا ورد.
(يتأملان بعضهما بصمت)

من الملاحظ أن فرحان بلبل لم يأت على كل صفات شخصية ديك الجن التراثية رغم إمكانية تناولها من جوانبها كافة، و إنما وظف من الصفات ما يناسب أبعاد الأمر الذي يهدف إلى تحريكه و مناقشته، كما نجده في توظيف بعض حوادث حياة الشخصية قد لجأ إلى التركيز على الأهم منها، ليبث من خلاله حدثا معاصرا تواجهه شخصية معاصرة، و الحادثة كانت من الشهرة بمكان كونها قريبة من أذهان الكثيرين، فتسرعه في قتل زوجته ورد و ندمه بعد ذلك أسال حبر كثير من الشعراء و المسرحيين و الرواة، لكنّ فرحان بلبل استخدم هذه الحادثة عبر ثلاث مراحل وفق ما أشار إليه علي عشري زايد[23]:

1- اختيار ما يناسب تجربة الشاعر من ملامح هذه الشخصية.
2- تأويل هذه الملامح تأويلا خاصا يلائم طبيعة التجربة.
3- إضفاء الأبعاد المعاصرة لتجربة الشاعر على هذه الملامح.

إنّ إضفاء الأبعاد المعاصرة لتجربة فرحان بلبل على الملامح التي اختارها من قصة ديك الجن تتجلى في خلق واقع مواز للواقع التراثي الذي عمد المؤلف إلى توظيفه، فجعلنا نعيش حكايتين في آن واحد، فنشعر بوحدة التجربة الإنسانية و ترابطها، فتسير الأحداث المعاصرة في ظل الحادثة القديمة و تكتسب مصداقيتها، فيتولد لدى القارئ الشعور بعظمة التجربة الإنسانية و استمرارها.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1365

الخاتمة:

بالعودة إلى ما أنتجه فرحان بلبل نجد أنه لم يرسم العالم من وجهة نظر شخصية بقدر ما كشفه و عرّاه، فنطقت شخصياته بحقائق مؤلمة تكاد تكون في دواخلنا لأسباب متعددة، و لهذا اتخذ أسلوبه و طريقته في توظيف التراث طابعا مميزا لاسيما أنها تتجه إلى نقاط حساسة و جوهرية من الشخصية، فعلى الرغم من أنّ هذا التعامل لم يندمج في توظيفه اندماجا تاما، بحيث عمد إلى تصوير شخصية ديك الجن في أقصى حالات تناقضه، إلا أن هذا ألف بعدا عميقا زاد في القدرة الإيحائية و أعطى للصراع الدرامي بؤرة واسعة.

لقد وقف بلبل في مسرحية ديك الجن إلى جانب ما نعرفه عن هذه الشخصية من جهة شجاعته، كما أنّه تعمق أكثر و كشف لنا جوانب أخرى حقيقية لم يشر إليها أحد إلا قلة بسبب تمجيد الماضي دون غربلة، و هو لم يكشفها تنكرا للماضي أو تمجيدا له، بل عمد إلى مناقشتها مناقشة واعية و منطقية تجعلنا ندرك الأمور بعمق أكثر، و تجعلنا أيضا نستغل جوانب الضعف كما نستغل جوانب القوة في هذا الموروث.إذ بيّنت هذه المسرحية حياة ديك الجن و مواقفه الإيجابية، للتعبير عن تجربة معاصرة مركزا فيها فرحان بلبل على فكرة تمسك المثقف بدوره، و هذا التركيز نابع من رؤية الكاتب أولا، و من كون أن للمثقف الدور الأكبرأو هكذا ما يجب أن يكون.

الهوامش:

---

*"**يفيد لفظ الميراث التركة التي توزع على الورثة، أو نصيب كلّ منهم فيها، أصبح لفظ التراث يشير اليوم إلى ما هو مشترك بين العرب، أي إلى التركة الفكرية و الروحية التي تجمع بينهم لتجعل منهم جميعا خلفا لسلف[...] و من هنا ينظر إلى التراث لا على أنه بقايا ثقافة الماضي، بل على أنه تمام هذه الثقافة و كليتها: إنّه العقيدة و الشريعة، و اللغة و الأدب، و العقل و الذهنية، و الحنين و التطلعات".** محمد عابد الجابري: التراث و الحداثة، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1991. ص25.

1- حسن علي المخلف: توظيف التراث في المسرح-دراسة تطبيقية في مسرح سعد الله ونوس-، ط1، دار الأوائل، دمشق، 2000. ص44.

2- فهمي جدعان: نظرية التراث، ط1، دار الشروق، الأردن، 1985. ص30.

3- حسن علي المخلف: توظيف التراث في المسرح-دراسة تطبيقية في مسرح سعد الله ونوس. ص45.

4- عز الدين إسماعيل: الأدب و فنونه، ط4، دار الفكر العربي، بيروت، 1968. ص44.

5 - فرحان بلبل: ديك الجن الحمصي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005. ص151-152.

6 - المصدر السابق. ص 177- 179.

7 - المصدر نفسه. ص179.

8 - المصدر نفسه. ص161-162.

9 - المصدر نفسه. ص121.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1365

10 - المصدر نفسه. ص164-165.
11 - باسل أبو حمدة: فرحان بلبل المسرح التجريبي سيموت دفعة واحدة مثلما ولد. www.albayan.ae
12 - فرحان بلبل: ديك الجن الحمصي. ص159-161.
13 - المصدر السابق. ص158- 159.
14 - المصدر نفسه. ص135- 136.
15 - المصدر نفسه. ص152-154.
16 - المصدر نفسه. ص156-157.
** تشير بعض كتب التراث الأدبي أن دنيا هو اسم زوجة ديك الجن التي قتلها.
17 - المصدر السابق. ص165-169.
18 - المصدر نفسه. ص179-181.
19 - المصدر نفسه. ص181- 182.
20 - المصدر نفسه. ص169-170.
21 - المصدر نفسه. ص163-164.
22 - المصدر نفسه. ص148-149.
23- علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة. 1997. ص240.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1365